

قراءات العدد الماضي من "الأدب"

القصيد

بقلم شوقي خميس

الشعر ليس افكارا منممة او منظومة او مصاحبة للانفعال، وانما هو رؤية خاصة باللغة للوجود والموضوعات . كذلك فان الشعر ليس مجرد انفعال منظم الا في مراحل الاولي ويجب الا يظل كذلك كي لا يصير فنا متخلفا في عالم تتطلب فيه رسالة الكلمة حتى تحفـق فاعليتها ما هو اكثر من الصدق ، تتطلب الشمول في الرؤية والاحاطة الواسعة بالموضوع . لذلك لم يعد كافيا اتخاذ منطق التجربة او صدق الانفعال مقاييس لجودة القصيدة الحديثة . فاذا ظل الشاعر متوقفا بشعره عند احد هذين التصورين الجماليين ابتعد بفنه عن عالم الشعر الحديث ، وصار على الناقد اما تجاهل مثل هذا العمل الفني باعتباره لا يضيف جديدا الى شعر عصرنا واما اللجوء الى المقاييس التقليدية التي هدفت القصيدة لتحقيق منالها الجمالي لتحليل مدى ما اصابه الشاعر من توفيق .

وإذا تخطى الشاعر التصورات القديمة التي غلب عليها الطابع العقلي للنظم حيناً والطابع الذاتي للانفعال حيناً آخر ، ومضى نحو تكوين رؤيته الخاصة التامة بالمفهوم الحديث ، بدأ النافس المعاصر عمله الحقيقي في الكشف عن مدى عمق تلك الرؤية وشمولها وجدتها وتكاملها .

وفي قصائد العدد الماضي امثلة عديدة على وجود هذه الانواع الثلاثة من التصورات والاساليب الفنية في الشعر . والارجح ان ذلك التعدد يعكس تناقضا في ذهن الشاعر الواحد اكثر مما يعكس تناقضا خارجيا في حقل الشعر . فالشاعر الذي نصادف قصيدة له من هذا النوع او ذاك في العدد الماضي سبق ان صادفنا ونصادف قصائد له من الانواع الاخرى والاخرى . ولعل تلك الظاهرة تجسد قلق الشاعر العربي الخصب ونزوعه نحو فن اشد فاعلية تتحقق فيه ملامح قوميته ونضاله في هذا الوقت المصيب . ولكننا لا نود استخلاص الافكار النظرية من تلك الظاهرة . ويكفي ان نسلط الضوء على حقيقة ما يحدث في حقل الشعر من خلال تحليل القصائد طالبين المزيد من الفهم ارضا صلبة لكل بناء جديد .

الرجل ذو الظل الاخضر - محمود درويش

باستثناء الاستهلال الانفعالي العام ، وهو رغم جودته لا يضيف جديدا ، يسود القصيدة اسلوب النظم العقلي القديم للمعاني والتشبيهات ولم يوفق الشاعر حين حاول الخروج عن المألوف فسي قاموس الحماسة ولجا الى بيئة التجربة ليستمد منها الصور الموحية بملامح البطل مثل قوله - نراك .. طويلا ، كسنبلة في الصعيد بينما طول السنبلة المراد خلعه كصفة على البطل يدفعنا الى التساؤل اكثر مما يدفعنا الى الاكتشاف الاعمق لتلك الصفة . وكذلك حين يصف الشاعر بطلنا (بالجمال . كمنصع صهر الحديد) تتعدر علينا رؤية الترابط بين الجمالين فيظل العالمان منفصلين . وليس من شك في حق الشاعر في الكشف عن الجمال حيث يريد وحيث يستطيع ولكننا

نعتقد انه من حق القارئ ايضا ادراك ذلك الكشف والوصول اليه من خلال الصورة الفنية وليس من خلال تقرير الشاعر وحده ، خاصة اذا ما جاء الرمز ضعيفا يتوكأ على ادوات التشبيه التقليدية مما يؤكد ان الصورة الشعرية ناقصة في حاجة لان تستكمل ، وهو نفس ما حدث في الصورة التالية التي تجسد حرية البطل بوصفه احد عظماء المدافعين عن الحرية بتشبيهه بنافذة في قطار بعيد ، فلا ندري ما العلاقة بين نافذة القطار البعيد تلك وبين حرية البطل ، مما يؤكد نقص الصورة الشعرية . وايا كانت درجة توفيق الشاعر في صياغته تلك الصور فانها تعد من المسائل الجزئية بالنسبة لشاعر موهوب اثبت كثيرا قدرته على الخلق مثل محمود درويش ، ولكن القصيدة التي تستلقت النظر في القصيدة هي نظرت المتخلفة الى حضارتنا العربية، فحضارة انجبت ابن سينا والكندي والفارابي وآخرين وآخرين ، لم تكن يوما بدويا جميلا يحاول ان يدرس الكيمياء وربما صارت تلك هي الصورة الظاهرة لحضارتنا يوما ما ولكن التراث النصالي لحركة الانسان العربي نحو المعرفة لا يجب الفأوه او تجاهله حتى وان اختفى اثره الظاهر من فوق سطح الحياة . هذا والا سنبدأ انطلاقتنا من ارض الاحلام الساذجة بطائرة او بعشر نساء ويصبح كل تقدم حقيقي نحززه معجزة تملو على الفهم في احسن الاحوال ، ولا نظن شاعرنا الثوري ممن يؤمنون بهذا النهج في التفكير وانما هو عدم نضج الرؤية الذي يفسر ذلك الخطا الفكري الذي وقع فيه الشاعر وما اصاب القصيدة من خلل فني بوجه عام .

مريثة الفارس - فدوى طوفان

تبدأ القصيدة بوصف عام لمجزرة الاردن التي سبقت موت البطل وكان له اكبر الفضل في وقفها ويعيها الى حد كبير عمومية الاسباب التي جعلت منها الشاعرة دوافع لحدث تلك المجزرة البشعة مثل الجنون؟ وشهوة الموت!! مما يجعل من مثل تلك الرؤية ستارا يحجب الحقائق عن المثقبي بدلا من ان يضيء له الطريق للادراك الاعمق . ولي تلك المقدمة في القصيدة اجزاء تجسد فيها الشاعرة احساسها الخاص بفداحة الخسارة وعظمة التضحية التي قدمها البطل ، ويرتفع الشعر في هذا الجزء الذاتي من القصيدة الى درجة يتحول فيها البكاء من استسلام حزين للواقع وتعبير عن العجز الى تعبير بالغ القوة عن الحب والتشبث بالحياة . ولكن الشاعرة تعود في نهاية القصيدة الى صياغة الشعرات العامة التي لا تضيف كثيرا الى التجربة ، مما يؤكد رغم استخدام الشاعرة لاكثر من اسلوب فني في صياغة التجربة. ان اروع ما تقدمه هو ما تعلق بالتعبير الوجداني المباشر كما عودتنا شاعرنا العظيمة .

لا وقت للبكاء - أمل دنقل

تكاد تنجو قصيدة الشاعر امل دنقل من اساليب النظم العقلي والتعبير الانفعالي . فقد لجا الى الواقع الموضوعي والتاريخ ، واستمد منها الصور المجسدة لرؤيته الخاصة كذلك فان حرارة الاداء ولسه للاحاسيس والخواطر الحاضرة يحقق نوعا من الاشباع والراحة للقارئ في الوهلة الاولي . ولكن ما ان تبدأ القراءة الثانية للقصيدة حتى نصاب بالحيرة الشديدة ، فما كنا نتوهمه رؤية متكاملة لا يصمد للفحص ويتفكك الى رؤى متعارضة .

لغائي الكلمات اكثر مما تركز على بنائها الموسيقي ولا عجب فهي آلة المنطق والمقل ولكن سرعان ما تبدأ الآلات الأخرى في العزف وتتعالى اصواتها وتتصافر في البناء الجديد آلة الثورة بصوت النحاس السدوي :

(باسم مليون شريد مرة أخرى ومليون ذراع في السلاسل ...)
آلة الوعي من جديد :

(عثر دورية الامن ، على عنصر تخريب قتييل) .
آلة الشقاء - التوريات الحزينة :

(احبائي مضوا شرقا وغربا وفاتوني لنار الشوق نهبا)
آلة الحب الدفوف والنايات :

(تقمصت تقربتي الصخور والدوالي)
وفي آتون زهرك البري

تعمدت أصابعي ، وجبهتي ...)

استطاع سميج القاسم ان يقدم لنا تجربة عظيمة الخصب واثبت ان الشكل الفني الناضج والوعي الفني الناضج قادران على تطويع كل الاساليب لخدمة التجربة الانسانية ، ولا مجال هنا للتفصيل حتى نتكمن من النظر في باقي قصائد العدد الماضي فلعل ما اشرنا اليه من قصيدة الشاعر يوحى بالبقية .

دير العاقول - نبيل ياسين

يبدو من ظاهر القصيدة المقسمة تقسيما فنيا الى احاديث شخصيات وشهود بالاضافة الى ما تشير اليه المقدمة الثرية انها تحتوي قدرا كبيرا من الموضوعية ، ولكن القصيدة على عكس ما يبدو في الظاهر ذاتية تماما ، ذاتية بالمفهوم الرومانسي ، ويمكن ببساطة الاستغناء عن كل تلك العناوين والمقدمات دون ان يصاب العمل بادنى ضرر . فاذا انتقلت من هذه الملاحظة العابرة الى صلب القصيدة وجدنا صورة شديدة التقيد والفموض تثقل احساس المتلقي بالمرج العشوائي بين الحسي والمعنوي وتخفي جوهر الفكرة او الاحساس المراد تجسيده وراء كثرة التفاصيل . فما تكاد نلمح بعض الضوء وراء بيت من الابيات حتى يتبعه الشاعر بآبيات وآبيات تخنق كل ضوء . يقول الشاعر تحت عنوان فرعي - حديث نبيل ياسين ! -

شعب من الاحزان - يصل في دمي

والمتوقع ان ينكشف سر حزنه في الابيات التالية ولكن ما يحدث هو ان تتفقد الصورة بمزيد من العناصر .

وفي حنجرتي قوم من الاعراب

ينتشرون في ، كالصحراء

ولا يتوقف الشاعر بل يدفعه ولعه الغريب بخلق الفرابسة لان يأخذ هؤلاء القوم من الاعراب الموجودين في حنجرتهم والمنشرين فيه، كالصحراء ، في رحلة يسافرون فيها فوق جثته . وهنا لا بد ان نتوهم انه يتمص شخصية التنبي القتييل وتنتهي الرحلة بهبوط القوم في قلب الميت او القتييل او متمص الموت او مدعيه . وفي رأينا ان كل ذلك انما يعبر عن رؤى غير مكتملة واحاسيس ناقصة وافكار مبتورة حاول الشاعر ان يخفي ما بها من نقص خلف تقيد الصورة الذي قد يوحى مخادعا بالثراء .

اما ما يسيء للشاعر حقا فهي الاجزاء الواضحة من القصيدة اذ ينكشف فيها فقر التجربة حين يلجأ الى النظم العادي لافكار عتيقة كما في حديث (ابو نصر) او يشوه ظالما واقعا بأكمله حين يقول مخاطبا كافور ثم

ومصر تحت فخذك امراه

مصر التي ليس لها سواك ??

أنها من ذلك النوع من القصائد الذي يتملق الاحساس العام ويستثيره ، ولكنه لا ينفذ الى اي عمق فيما وراء سطح الواقع الملموس ، مما يجعل اثره عابرا رغم لمانه في حينه . وحين يتساءل الشاعر مستنكرا عدم انطفاء الشمس في اعيننا بعد مرورها على الضفة الأخرى وعدم احتراق رئاتنا من استنشاق النسيم التي تمر على مخيم الاعداء وعدم اصابتنا بالعمى وبعض خرائط ارضنا قد اصبحت عبرية الاسماء ، حين يتساءل الشاعر مستنكرا هذه التساؤلات فان صوته لا يحمل وعيا شعريا بالقضية ، وانما وعيا خطابيا وحسب . ولكن ما يعيب القصيدة في الاساس ليست هذه الملاحظات الجزئية وانما تعارض رؤية الشاعر للحدث الواحد في القصيدة ، فلا ندري كيف يرى الشاعر خيبة العمر وشقاءه وراء البكاء ثم يرى وجهه المنصورة ولويس التاسع ؟ المأسور في يدي صبيح وراء نفس اللحظة . والرؤيتان تعكسان القنامة الشديدة والتفاوت المذهل ، فايهما نصدق؟ الجز الاول الباكي من القصيدة ام جزءها الاخير المتفائل والمنطق منذ القسم القرآني حتى ختامها ؟

وقد حاول الشاعر تدعيم تفاؤله الحماسي باشارات تاريخية اهمها موقف شجرة الدر في اخفاء مقتل زوجها الصالح نجم الدين حتى لا يؤثر خبر موته على معنويات الجنود في الحرب ، وان كنا لا نستحسن تماما هذا الاختيار ، لان شجرة الدر نفسها جارية مملوكية غير مصرية اشتهرت كثيرا بموهبتها في الدس والتآمر مما يجعلها - رغم صلاحية الموقف الذي اختاره الشاعر - ليست من اصلح الشخصيات لتجسيد رمز مصر .

وفي القصيدة بعض الملاحظات على استخدام الشاعر للقوافي ، فان اصراره على تكرار بعض القوافي بعينها قد دفعه ليراد كلمات في القافية تخالف المعنى البديهي احيانا مثل قوله عن خرائط سيناء العمرية الاسماء (كيف نراها دون ان يصيبنا العمى ؟ والعار من امتنا المجزأة) وكانت الكلمة الطبيعية هنا المحتلة لا المجزأة لان تلك الخرائط تؤكد واقع الاحتلال الاشد خطرا وليس مجرد التجزئة . وكذلك فان ايراده لكلمة اللعبة بعد الاب الذي هدم فوقه البيت لا تضيف كثيرا لان خسارة الاب فادحة بحيث لا تقويها خسارة اللعبة وانما جاءت الكلمة في ذلك المكان لضرورة القافية ولتتمشى مع كلمتي متكبوالتربة مع ما في الاولى من ضعف وما في الثانية من افتعال لارتباطها بعادة من عادات الرجال . وعلى هذا النحو نرد الكثير من الكلمات والقوافي في القصيدة مما يجعلنا لا نعتبرها من القصائد الجيدة بالنسبة لشاعر سبق ان قرأنا له قصائد ممتازة .

ريبورتاج عن حزيران عابر - سميج القاسم

في قصيدة سميج القاسم ايضا اكثر من صوت واكثر من اسلوب في التعبير ، ولكن التنوع هنا يخدم التجربة ويزيدها قوة وعمقا . فهي تجربة انسانية حية متشابكة تحتوي الوعي والحب والتمرد والثورة والبياد والموت ، تكونت من كل تلك العناصر متحدة فسي شخصية بطل المقاومة الشهيد . الا ان عنصرا بعينه هو الذي يقود حركة البطل في كل مراحلها ويضفي عليها طابعا مميزا فيتحقق التكامل في بناء القصيدة في كل مرحلة ويضفي عليها طابعا مميزا فيتحقق التكامل في بناء القصيدة الدرامي على نحو اشبه بتكامل آلات الاوركسترا المتنوعة التي تزف مقطوعة واحدة وان اتخذت موضع القيادة الآلات المختلفة او المجموعات المختلفة طبقا للتغيرات التي يتضمينها تطور اللحن باعتباره مثل القصيدة فنا زمانيا لا يكشف معناه الكلي الا من خلال التسابع .

تقود آلة الوعي بناء سميج القاسم الاوركسترا للقصيدة في البداية - وعلى ارضفة النكسة قابلت الكثيرين - اعزوني فالعدد - صار شيئا ونقيضه - وهي كما نرى آلة خافتة الصوت تركز على

والشعر ليس لي سواه

فهل ليس لمصر حقا سوى كافور ؟ ام انه تمجيد للشعر والشاعر
على حساب وطن وشعب ؟ ام انه فهم سطحي شأنه لمصر وللتاريخ ؟

الجرح والعاصفة - حسن فتح الباب

يفتح الشاعر غالبية الصور في القصيدة بعبارة «اكتب عن..»
وفي ظني انه لو تخلصت القصيدة من تلك العبارة لظهرت قوتها
كقصيدة نضالية جيدة . فالشاعر قد كتب بالفعل وبانفعال صادق عن
الاشياء التي تجسد بعضا من معاناة امتنا . وما كان بحاجة السي
تكرار تلك العبارة التي اثقلت التعبير الى حد كبير والفت الظلال
على معناه واضعفت موسيقاه . فلم لا نواجه الحقائق مباشرة دون هذا
التنبيه المستمر كجرس الاسعاف ؟ ان الشاعر يكتب عنها . لم يردد
هذا التفرير الذي لا يضيف شيئا ؟ كنا نتوقع بعد تلك العبارة
«اكتب عن» ان يكشف لنا الشاعر حقيقة جديدة او واقعا غريبا ولكن
ما ورد بعدها لم يخرج عن الحقائق الملموسة في ثورة امتنا وامسانها
وحربتها مما يؤكد ما فلناه في البداية من ان هذا التعبير قد اضعف
القصيدة الى حد كبير .

الهجرة خارج الذات والمدن المسبية - حسان عطوان

يبدو ان خروج الشاعر من ذاته كان شاقا ومتعمرا ، كذلك
فان حصاده من المدن المسبية كان فقيرا بالرغم مما يمتلكه من قدرة
واضحة على الخلق وتوليد الصور الشعرية المركبة والموحية في نفس
الوقت . فقد كان في محاولة الشاعر الخروج من ذاته في القصيدة
وحصاده الفقير من المدن المسبية ما يكفي لانشاء قصيدة جيدة .

ولكن الهجرة خارج الذات لم تحقق فطلت رمزا لحلم الشاعر
بالفرار من نعاسة الحاضر ، كما لم يتحقق اكتشاف المدن المسبية ،
وانما ظلت رمزا للمستقبل الحر يومض في لمحات خاطفة متشحشا
بالفرابة في عيني الشاعر الذي يحلم بان يحول الفرابة الة والصمت
بوحا ، وهكذا تصبح القصيدة كلها تجسيدا لحلم الشاعر الذي يظل
حلما رغم كل محاولاته في ربطه ببعض جزئيات الواقع . ذلك لان
التجربة المادية والموقف المعاش الذي ينطلق منه حلم الشاعر يظل
حتى النهاية ، ومهما دققنا الفحص مجرد ظلال هاربة لا يمكن لمسها.

الخوف من الحاضر - نعمان محمود سيرت

يمكن القول بان القصيدة في مجملها نداء لاحتلال الفعل الثوري
محل الاقوال والكلمات والصيغ الجوفاء وهو نداء مقبول نسبيا ولكن
يخطئ الشاعر حين يتصور ان هناك تعارضا بين الفكر والعمل او بين
الحاضر والتاريخ . فالتفكير السليم لا بد وان يؤكد قيمة العمل
والوعي بالتاريخ هو الذي يفسر لنا اغلب الحاضر والطاقت المختزنة
فيه . لذلك لا نظن (الاحداث الكبرى قادرة على ان تسمح بالنسيان
زهو التاريخ) كما ان انتصارات التاريخ لا تشفع لنا في هزيمة قد
تحقق بنا اليوم . تلك هي ملاحظتنا على الجانب الفكري من القصيدة
اما من ناحية الشكل الفني فانها تبدو لنا مفككة توزعها الوحيدة
والترابط بين العناصر الذاتية والعناصر الموضوعية فيها ، فان
الانتقال من العالم الى ذات الشاعر ومن ذات الشاعر الى العالم جاء

في القصيدة فجأ مفاجئا خشنا . كذلك نظن ان شاعرنا لم يوفق في
استخدامه لموسيقى وحدات شطر المتدارك الراقصة لانها لا تناسب
المعاني التي اوردها في قصيدته عن عمر الموت النووي والتاريخ
والاماسة .

حوار في جزيرة العقاب - ياسين طه حافظ

في جزيرة العقاب ، حيث تطلق القوة الوحشية ، وتحكم
المصائر وتصيغ السماء بالسواد . اي حوار هذا الذي يتخلله
الشاعر ؟ اي حوار يمكن ان يوجد ؟ ان القصيدة تقدم الاجابة
الوحيدة رغم البداية المخادعة ، والعنوان واشارات الحوار . وهي
انه لا يوجد حوار في جزيرة العقاب . وكل ما يمكن ان نلتقي به فيها
هو ذلك الفرار الدائم ومطاردة الخوف لنا حتى في الاحلام والتعثر
والسقوط والتشوه والموت . هذا كل ما تمخضت عنه جزيرة العقاب .
اكثر من دليل على استحالة الحوار في رؤية مركزه حادة محكمة
البناء تنبئ بقدرة اصيلة على الخلق الشعري .

شوقي خميس

القاهرة

القصص

بقلم : فاروق منيب

من الصعب ان افهم موقف الناقد من قصص اصدقائي وزملائي
كتاب القصة القصيرة بالاداب . فانا واحد منهم . اغرم بهذا الفن
الكثف الذي يطينا شرارة الحياة . هو فن مركز ، اشبه بقصائد
الشعر ، لا بد ان يحتشد له كاتبه بكل طاقته الشعورية والفكرية
والاسلوبية . لا يحتمل الفضفضة والاسهاب . انه كالنجمه في كبد
السماء ، تتساوى من بعيد مع افرائها ، ولكن ليس هناك نجمه
كالأخرى ، فلكل واحدة خصائصها المتفردة وموقعها من النفس والروح
والقلب . النجوم جميعا تبهنا ، تناملها طويلا ، ثم هي النهاية لا بد
ان نقف عن واحدة بعينها لنقول ... اننا نرتاح لشفافيتها ... لقوة
لمعانها ... للصلة الخاصة بيننا وبينها ... لرغبتنا في الاقتراب
منها . ومن هنا ، فسوف يكون موقعي من قصص الاداب موقف القارئ
المحب ، العاشق . فعندما يريد الانسان ان يخوض في عوالم الآخرين ،
فعليه ان يتجمل بالصبر ، يفتح شهيته للاستقبال الطيب لضيوفه .
وفي النهاية فان ما يصنع الحياة هو الحب ، وقد روضت نفسي عليه
منذ سنوات طويلة . ولابدأ بقصة صديقي جمال الفيثاني «الظما» .
هل تعرفونه ؟! انه ذلك الشاب الطويل الاسمر ، واحد من جيل
الشباب الجديد البازغ في مصر ، جيل ما بعد نكسة عام ١٩٦٧ .
تسهر في حديثه عندما يتكلم معك بحدة عاطفية ، لا يريد ان يترك
اللحظة دون ان يودعك اثره . انه واحد من جيل العذاب والمعاناة
والطموح والخلق الفني . لم يستقر هذا الجيل بعد ، ولكن الآمال
معلقة عليه ، فمصر العزيزة لن تقم ايدا . جمال الفيثاني خاص
ويخوض الان تجربة الاقتراب من جنودنا على الجبهة : اقرأ تعليقاته
وتحقيقاته الصحفية ، فأقول في نفسي ... انه يصدق مع نفسه ...
فحقيقته واحدة ... حياته منسجمة ... لا يزوق لنا الكلمات ...

الأعداء ، فطالت أذنه . فقد السمع . (كل ما يدغره انه كان يصنع
اوامره بشدة وصلابة ووضوح . فالطائرات المادبة تحلق في الجو ،
تنز ازيزا متصلا ناقبا للذن . وجنوده الى جانبه بترجون كلامه
واوامره الى حركات سريعة منتظمة ، تطلق القذائف من فوهة المدفع
الثقيل ... ثم ... وبلحظة واحدة .. انفجار صاعق فريبا منه ..
ثم انفلاق للزمن والذكرى .. وها هو يفيق من احشاء الليل ليصل
ما انقطع من خيط الاحساس بالوجود) .

هنا ايضا لحظة حضورية حية ، حاول فرحان بلبل ان يجمع
حولها فكرته . يرجع بعدها الى تصوير علاقة حميمة من نوع خاص بين
ضابط فقد سمعه وبين احد جنوده . هذا هو الخيط العام للقصة .
ولكن الخيط العام لا يكفي ، فان لم يستطع القاص ان يكسوه عظاما
ولحما ، فقد هبطت القصة . ومن هنا لم يعتمد فرحان على البدييات
والمسلماات الانسانية في تلك العلاقة ، انما كان همه ان يخلق مستواها
من جديد ، ان يكسبها طابعها الدقيق المنفرد ، ان يعمل اداة خلفه
وقوة خياله في تفاصيلها . نقلنا الى آلام البطل ومراره ... كان
وصفه الخارجي متمما لما يدور في نفسه من الاحزان ... حركاسه
القلقة المضطربة دليل ضيقه وتبرمه ! على ان الذي يجذبنا الى قصة
فرحان بلبل هو تلك التفاصيل الدقيقة للبطل عندما كان يستعيد
وهو في خضم ازمته ، يجدف ويقاوم .. ففي اشد حالات الخطر
يعود الانسان الى لحظات ماضيه .. ربما لادق تلك التفاصيل التي
مر بها ... فهنا يمر الانسان بالخيط الفاصل بين الحياة والموت ..
تجذبه قوى الحياة العارمة (فيل استدعائه الى الخدمة . كان له
اصدقاء يسمر معهم ، وأحيانا يسكر ، وكانوا دائما بشرزون في كل
موضوع مع ان الفتيات يأخذن من ثرثرتهن المتلهظة السفوفة اطول
وقت ، ثم يتهون سهرتهم بسلسلة طويلة من الضحك مزرنحيين
متمايلين ... ما احلى ان يعود الى رفاقه وسكرهم وسهرهم وثرثرهم
في الاهازيع الاخيرة من الليل !)

ولم يجد البطل غير الاستسلام للواقع . كان همه ان يعرف
لغة العيون والشفاه . كيف تنكلم ؟! هنا يضعنا فرحان بلبل ازاء
صورة دقيقة جدا للمعاناة التي يلافيها البطل حتى يستطيع ان يتفاهم
مع الاخرين . هي صورة خاصة ، لا يسردها سردا مباشرا ، ولا يحكي
لنا عنها ، انما يركزها في طريقة تشكيلية مؤثرة ، فما يطيه السمع
لنا لا نكاد نحسه الا اذا فقدناه . يقول في تصوير حالة البطل : في
البداية كانوا يفهمونه ما يريدون بحركة الشفاه . ولكن الوجوه كانت
تتغير ملامحها تغيرا غريبا ، فهي تزداد طولاً ونحافة ، او فصراً وعرضاً،
والعيون تكاد تغرق من حفرها ناركة ورائها فراغاً مخيفاً ، والانف يهيم
في احمرار خشن ، وزوايا الفم تروح وتجيء بين الابتعاد الاقصى
والاقتراب الاقصى في حركة تشنجية مرعبة . كانت الوجوه تبتعد
مشوهة قبيحة فتمرضه وتضنيه كأنها آلات تعذيب ضخمة) ..

اقول ان هذه الصورة تفجعنا . ذلك لاننا نضع يدنا على كارتة
البطل . كيف يجاهد في فهم الاخرين ؟. ما مقدار الآلام التي يتحملها
في سبيل ذلك التفاهم . لم تخلق الوجوه مثل هذا العنت والفسر .
فقد كانت الاذن تكفيه مرارة هذا الجهد المصني . والنتيجة انه يفقد
تذوق الحياة ، تخمد جذوتها في روحه ، يصبح هدفه ان يستكين
بوداعة ، حاله نصف ميت نصف حي . (لم يعد يشناق الى ثرثرة
اصدقائه ولقوهم ، وخطيئته تتراءى له شبحاً عتيقاً .. كل ذلك
ولى .. ولم يبق الا الهدوء والصمت والاطمئنان) .

غير ان معنى جوهرها وعميقا يبرز لنا من خلال المناسبة ، تلك هي
العلاقة الخاصة بينه وبين جمعه ، احد جنوده . فهو الوحيد الذي
كان يرافقه في كل مكان ، قلبه عليه دائما .. يمثل على شعوره
بالاخلاص . يصبح جمعه امله الوحيد في الحياة . فعندما يستسلم

ولاً يزخرها .. أعماله تنبع من عشق بلده ومحاوله ايقاظها ...
يفكر كيف يهزها من رقادها ... لا يملك ربما سوى قلم حبر جاف
وورق الجرائد الدشت ... عيناه فيها اصرار على شيء ما ... هو
اكبر من كتابة القصة القصيرة ... بل هو المنبع الذي يعرف منه ...
ونحن لا نكتب لجرد الكتابة ... فللكل واحد منا مصادره ... انهاره
الملائق ... فاذا طفت ... فانه يحاول ان يبدأ ... ان يقول
كلمة ... او يرسم لوحة ... او يؤلف قطعة موسيقية ... او
يحضن بندقيته ليحارب !

وقصته ((الظما)) هي احدى خطواته في عالم الحرب ، او قل عالم
صد العدوان !. من توفيقه انه يفتح باب الامل لنفسه ظملاً بظله ...
انه ليس ظملاً للماء ، وان يكن ظاهر الحديث يتم عن ذلك . انه ظملاً
الى الحياة نفسها ... الى الوجود نفسه ... القصة تلتهب
بالحاضر ... واذا استخدمنا الفاظ النقاد لقلنا انها تتميز بحضور
الحدث ... الفعل المضارع اذانه ... لا يهيم بنا الكاتب في مناهات
فرعية او جانبية ... همه ان يضع عيوننا وفلوبنا وفكرنا على بظله
الظامى ... على امه المعذبة في سبيله ... هناك علاقة حميمة بين
الام وابنها بعد ان مات ... استشهد في ساحة القتال من اجل
الوطن ... هي لا تريد ان تنفصل عن عالمه الحي ... الطوف حولها
(لن تنسى مذاق حسه ابدا ، نقل يضغط كتفها ، تنظره واقفا بكامل
ثيابه ، لحظة مجيئه في الاجازات ، اندفاق الدفء الى صالة البيت ،
برؤيته تتبدد وحدتها ، خلاصة ما مضى وما تبقى من عمرها ! ...
الان تسمع وقع اقدامه ، بملا المكان ، لو رحلت الى طريق خال او
مزدهم تلقاه ، في محطات السفر ، قوارب النزهة ، عند الجسور ! .

عندما كان يعيش بعيدا عنها ... يغيب في بعض الاحيان ، كانت
تفلق عليه ، تكاد نظير اليه ... لكنها كانت تصبر ... فهي تعرف انه
يضحك في مكان ما ، يرقد ، يشرب شاي ، يأكل رغيفا وشريحة
جين !. اما الان ، فهو امامها يطل اليها عبر رخام شاهد القبر ...
يطلب منها الماء ... انه ظامى الى الوجود ... الى تفاصيل حياته
السابقة ... فالحياة لا يعدها شيء اخر ... ليس هناك تيريسر
ساذج للموت ! .

يقوم طلال وهو اسم البطل - كل ليلة ، يخرج الى الطريق ،
دماؤه لم تجف ، روحه ظمأى ، يسأل المارة ، عابري السبيل جرعة
ماء ، فيخاف منه الرجال ، يفزع الاطفال ، تسقط الحامل جثتها،
لا يقدم له مخلوق جرعة .. يرفض ان يشرب الا من يديها الحنونتين،
انها امه التي حملته وهنا على وهن ، غذته من سرنها !. لن يكفيه
انهار الارض وينابيعها ، شمالاتها ، مساقط المياه لن ترويه الا اذا
اندفعت من يديها هي ! .

ان الفيطني قد استطاع ان يكثف اهتمامنا حول لحظة معينة.
لحظة وقوف ام على قبر ابنها الشهيد . ومن حول هذه اللحظة
العادية استطاع ان يدبر حواراه الوجداني والفكري معنا . استعاد
تفاصيل حياة البطل السابقة . رأينا الام المكلمة ، قلبها يمتلئ
بالمرارة والحزن ، بلتحم حياتها بغيته ، شدنا بجمله السريعة المتدفقة
الخصبة كطلقات الرصاص . حذف منها حروف العطف . لهثنا وراءه
في موسيقاه الداخلية العنيفة . تقلب بنا على الاوجاع والصبير
والمعاناة ... فسألنا ... هل لهذا الليل من اخر ... فجاءنا رد الام
المكلمة : احتوت الرخام بين يديها طفلا باكيا غريب الابوين ... انها
قصة ملتهبة كتبها القاص بدمائه ودموعه ... نهنته عليها .

كانت تلك واحدة من قصص الآداب ، فماذا بعد ؟ فرحان بلبل
يلتهب هو الاخر قبل جمال الفيطني . ولكن لهيبه من نوع خاص .
في قصة بعنوان ((السلك يتقطع)) ينقلنا الى بطل اخر . انه في حالة
بين اليقظة والنوم ، او بين الحياة والموت . اصابته قذيفة من

لُكل شيء ، يراه ... يكاد ينهار من فرحته ... أنه يرحب به ..
يدنو منه ليعانقه . اذن لا بد ان يبقى شيء في الحياة حتى نعيشها .
ولقد كانت علاقة البطل بأحد جنوده هي ركيزة استمرار الحياة ، بل
وتدفقتها من جديد !

القصة هادئة السرد ، حلوة الروح الانسانية ، نحاول ان نقول
لنا والبطل يجاهد في سبيل فهم الاخرين ... انه لا يحزن من اجل
نفسه ، انما حزنه المؤلم من اجل الاخرين . وتلك نظرة انسانية نبيلة .
فلماذا يرهق من يتحدث معه ؟! ان الخجل يتنابه من اجله !. ايضا
اصبحت العلاقة التي تربط البطل بأحد جنوده هي اشبه بالعلاقة
الصوفية الشغافة التي تذيب الاحزان من داخلها . هي قصة اخرى
تصب في نهر القتال الذي تخوضه امتنا .

هانان فصنان من لهيب المعركة وهناك قصة « البيت الاخر »
لديزي الامير . لا ادري بالتحديد ما الذي جذبني الى هذه القصة .
هل هو العطف الذي يشعر به الانسان على البطلة ؟! ام هذه الموسيقى
العذبة المكتوبة بها . ام خيبة الرجاء التي منيت بها البطلة فسي
النهاية ، فشلت في تحقيق املها . لمسات بسيطة وصغيرة نظرحا
ديزي الامير ، فتفني عن الخطابة والزعيق . حقا ... ان روحها
الرفيعة تفرض واقعها على القصة . تصور لنا عذاب العادة فسي
حياتنا .. تريد ان نتخلص من تقليديتها ورونييتها المملة استخيفة
التي تسحق فينا اذكي ما فينا من مشاعر وتجديد وخلق !. نعمت
الكاتبة ان تسرد لنا التفاصيل المملة في حياتها ، حتى مللنا تلك
الحياة في مجرد الكلمات . فكيف نستطيع تحمل الحياة اذا اصبحت
طقوسا يومية لا تحيد عنها . ما هي اللذة التي نجنيها من وراء هذا
الكساد الازلي في الزمان والمكان ؟! حتى مباحج الطبيعة نفقد هي
الاخرى حلاوتها ، لانها تدخل في عجلة الروتين المفضية «من الشرفة
ومن بين الاشجار البعيدة بدا خيط رفيع من الفضة المذهبة . هلال
اخر ، شهر اخر ، امان اخر ، خوف من شؤم ، وانتظار نفاؤل ،
اغمضت عينيها ووضعت عليهما يديها ، كفيها .. اصابعها ، تظيها ،
لا تريد ان ترى الهلال) .

سرنا مع الكاتبة في طريقها التسجيلية لوصف البحر الذي
تخوض فيه حتى كدنا نخنتق معها في التجديف بين امواجه ...
مللنا سطحه الراكد .. ملوخته المرة .. نفننا مع الحلاوة التغيير ..
فشلنا معها حين فشلت !. ليس هذا من باب تقمص الشخصيات ...
ولكن ديزي الامير بصدقها الفني الشفاف ... وبساطة اسلوبها
الشائق ... ورقة روحها وعذوبتها الانسانية ... كل ذلك قد افنعنا
بموضوعها ... وحرك فينا نغمة من السخط على الواقع الراكد ...
ثم هو قد اصابنا بخيبة امل مريرة حين لم تنتصر عليه !. تحية
لديزي الامير . وأرجو في قصصها القادمة ان تطيننا مزيدا من
ابطال العمل والامل ، وأن تقلل من ابطال الملل !.

وتبقى قصة زميلي وصديقي محمد جبريل الذي اعرفه منذ
سنوات ، حين قدم من الاسكندرية باحثا لقدمه عن موضع في الخضم
الكبير . كان يحمل اوراقه تحت ابطه ، وروحه شاردة . لاحظت طيبة
نفسه واشتياقه الى عالم الادب والفن الجميل . وها هو محمد
جبريل يكتب لنا عن «متنابعات لا تعرف الانسجام» ، عنوان فصنه
بالاداب . فماذا نجد فيها ؟! نجد فيها هذه الروح المصرية التي
تكتسب الفن بهاء ونضارة . هناك اكثر من صوت يحكي لنا قصة ابن
نفيسه ... ذلك المجرم المتيد .. الانسان النبيل ... الشجاع
الكريم .. الولي الصالح الامين ... كيف تستطيع شخصية ان تجمع
بين جنبها كل تلك الصفات ؟! ذلك هو موضوع قصة محمد جبريل .
فالسطة تنظر اليه على انه المجرم العتيد ، تعقله .. تشرده .. تحكم
عليه بالسجن .. تعذبه .. اما اصداؤه .. فهم ادري الناس به ..

يعرفون شجاعته ونبله .. «السر الذي يجله الجميع ، أنه لم يسرق
فقيرا ... ولم يقتل احدا .. رفض تنفيذ عملية ناجحة ، لانه سمع
بكاء طفل من داخل البيت الذي اعدوا لدخوله ... اقتصرت سرقاته
على الاغنياء» .. وكأنه اللص الشريف في الافلام السينمائية ذات
الطابع العنيف .. والتشويق اللذيذ .. ثم هو في النهاية الولي الذي
اصبح له طريقة .. ومزارا يحج اليه الفقراء . ما هي حقيقة هذا
البطل ؟! لا احد يعرف على وجه التحديد . ربما يريد الكاتب ان يضع
امامنا جانبا من فكرة البطولة المصرية ... بعض ابعادها الاجتماعية
والشعبية ... والعنوان نفسه يوميء بهذا ... فهل كتب القاص
قصته ثم اختار لها هذا العنوان الذي يعبر عنها ... ام انه اختار
العنوان منذ البداية ؟! ثم سار على هذا التخطيط الذي رسمه ؟.
سؤال اطرحه على القاص نفسه دون ان اجزم فيه برأي معين . ايضا
فاجتني الفاظ السب بالقصة ... كان هدف القاص ان ينقل القارئ
الى مستوى الذي يتحدث بتلك اللغة ... ولكن ليس باللغة وحدها
يعبر الانسان عن نفسه في الفن !

وفي النهاية امنى لاصدقائي وزملائي القاصيين مزيدا من الانتاج
الجيد الاصيل .

القاهرة فاروق منيب

صدر حديثا :

- الحرب الخاطفة
- ف. د. ميكشه
- الردع والاستراتيجية
- اندرية بوفر
- دراسات يسارية في الفكر اليميني
- عفيف فراج
- مذكرات ثقافة تحتضر
- غالي شكري
- الاقليمية الجديدة
- عبد الله الريموي
- النجم الاحمر فوق الصين
- ادغار سنو
- الطريق الى فلسطين
- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
- الاختيار الصعب
- ليدل هارت
- الديمقراطية او سيادة القانون
- الدكتور عصمت سيف الدولة
- بلادنا فلسطين (الديار النابلسية)
- مصطفى مراد الدباغ
- سفير متجول
- ناصر الدين النشاشيبي
- على خطى كارل ماركس
- ترو ونغ شينه

دار الطليعة للطباعة والنشر

ص.ب ١٨١٣ بيروت